الرفض الفطري في الانسان

سؤال احار في امره، لماذا في مناحي الحياة عامة نقابل افراداً ذوي نزعة رفضية؟ اذا ما طرحت عليهم سؤالاً ما او بضعة اسئلة، تجد ان نسبة الإجابات السلبية، اي إجابات النفي تفوق الإجابات الايجابية.

اذا ما قدمت موضوعاً جديداً او فكرة جديدة لاحدهم، تجده فوراً ومن دون محاولة تفكير في الموضوع، يرفضه رفضاً قاطعاً.

اذا ما التقيت بشخص ما لأول مرة، تجده يبحث عن السلبيات في نفسك قبل الايجابيات.

اذا ما سألت احدهم عن رأيه بأحد معارفكما، تراه يعدد لك عيوبه قبل محاسنه، هذا إن اتى على ذكر المحاسن والصفات الايجابية.

تُرى، لمَ هذا الرفض الفطري في الانسان؟ ما مصدره؟ وكيف يتوالد في الفرد؟

علوم الايزوتيريك – علوم باطن الانسان، تعلمنا ان الانسان كيان مؤلف من سالب وموجب، كون طبيعته مزدوجة بين باطن وظاهر، ولان الازدواجية هي اساس وجوده المادي. كما ان هناك ازدواجية سلبيات وايجابيات..

لكن لماذا يرى بعضهم السلبيات ويبحث عنها ويعمل من خلالها اكثر مما يعمل من خلال الايجابيات؟

علم النفس لا يجيب عن هذا التساؤل بوضوح. فهو يقول بأن في الانسان (ازدواجية) وعي ولاوعي، واللاوعي يحوي السلبيات، فيما الوعي يحوي الايجابيات الى جانب السلبيات، وان الانسان قد يميل الى تحقيق رغبة اللاوعي، او هو يتصرف من خلال عقل او وعي الباطن، او اللاوعي لاشعوريا منه.

واذا ما سألنا: لماذا يحوي وعي الباطن السلبيات؟ يجيب ان وعي الباطن او اللاوعي او اللاشعور يشكل مجموعة الامنيات والمشاعر والافعال التي لم يستطع المرء تنفيذها في حياته. لذلك، لا ينفك عقل الباطن يستيقظ بين حين وآخر، محاولاً تحقيق رغبته من خلال وعي الظاهر.

لكن، هل صحيح ان جميع الامنيات والمشاعر والافعال التي لم يستطع الانسان تحقيقها هي سلبية؟ وهل صحيح ان وعي الباطن يحوي فقط الاشياء السلبية؟!

لم اقتنع كثيراً بما اقرّه علم النفس، لأن المنطق لم يقبل فكرة السلبية التي يتّصف بها وعي الباطن.

رحتُ اطالع في سلسلة مؤلفات علوم الباطن الانساني (الايزوتيريك) لأبحث عن تفسير معقول لهذا الرفض الفطري في الانسان، والذي ينمو معه منذ الصغر. فلو ان علم النفس على حق، لما كانت نسبة كبيرة من الاطفال يحملون ايضا هذه السلبية الرفضية، فوعيهم الباطني لم يسجل شيئاً بعد في داخلهم!

علوم الايزوتيريك تشرح الأمر بالتالي:

الإنسان لم يفطر على الرفض، لكنه هو من فطر نفسه عليه بسبب عدم حماسه ونشاطه لاكتشاف الجديد. فانغلاقه على كل جديد، وتمسكه بالتقاليد البالية والموروثات، اضافة الى السلبيات المتراكمة في نفسه، وتعلقه برأيه ونظرته الى الأمور، وعدم محاولته الخروج عن كل ما هو تقليدي، بالرغم مضي الزمن عليه، ذلك كله يجعل من نفسه، وعياً او لاوعياً منها، ترفض كل ما هو جديد ومتجدد، مما يحول دونه ودون الانطلاق خارج الدائرة الضيقة التي أسر نفسه فيها، بالتالي عدم تطوير وعيه..

وافضل وسيلة للتأكد من ذلك كله، ومن اي نظرية علمية كما تشرح مؤلفات علوم الايزوتيريك، هي في التطبيق العملي. يكفي ان تراقب شخصين، احدهما منفتح على كل ما هو جديد، يحاول استطلاع الآراء والاطلاع على الاكتشافات الحديثة، وتقصّي العلوم المتجددة، والآخر منغلق على نفسه وعلى القديم، غير مبالٍ بل رافضاً كل جديد، ستجد ان الأول يحيا حياة هانئة سعيدة، اكثر تطوراً من حياة الثاني، وان مستوى تطور الأول في الحياة العملية والاجتماعية والخاصة، ارقى باشواط من مستوى تطور الثاني.

من هنا يمكنك استنتاج مدى أهمية الانفتاح على كل جديد، والابتعاد عن الانغلاق والتعصّب الأعمى للتقاليد، والتخلي ايضا عن ذاك الرفض الفطري الذي اوجده الانسان في داخله منذ أجيال طويلة، وما زال متمسكاً به حتى اليوم.

ويمكنك ايضا مراقبة المناطق او البلدان التي تتمسك بالتقاليد البالية والاعراف، وتقارن درجة تطورها بدرجة تطور البلدان المنفتحة والمتحررة من هكذا تقاليد. لذلك، وفي ضوء ما تقدم، ساكتفي بدعوة القارئ الى التمعّن والمراقبة، والى المقاربة والمقارنة، فالحياة هي الدليل الساطع على صحة ما جاء ذكره. وللقارئ وحده حق الاستنتاج واستخلاص الرأي والعبرة.

حقا، لو ان الانسان يفكر لمدة ثوان فقط قبل اعطاء الحكم (او ان يعد للعشرة كما يقول المثل الشعبي)، لكانت أمور كثيرة قد تغيّرت وتبدّلت، ولكان الانسان يعيش الآن في المستقبل، بدل الماضي.

ميشال السمراني

هريرة اكبار في ١٣ - ٢ - ٢٠٠٩